ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام. والعامة واكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث، ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الابصار لم يقل الأسماع، واذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعًا. والجاري على أفواه العامة غير ذلك لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال. وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج»[1]...

ويتابع الجاحظ عن مسألة التفسير بالمصاحبة قوله: «وفي القرآن معانٍ لا تكاد تفترق، مثل الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين والأنصار، والجن والانس[2]؟؟.

فقد دلّ النص على حس لغوي بالغ الدقة عند الجاحظ؛ فإذا نظرنا في الألفاظ القرآنية التي ذكرها وجدنا أن ملاحظاته صحيحة ودقيقة.

فالجوع لا يذكر إلا في موضع العقاب... وقد ورد لفظ الجوع

---

(١) البيان والتبيين ج١/٢٠ - ٢١.

(٢) البيان والتبيين ج١/٢٠ - ٢١.